الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ٩ سبتمبر ٢٠٠٢

رؤية واشنطن والمفاهيم الأخرى البديلة

هل أظهرت العولمة عجزاً ديمقراطياً في الولايات المتحدة؟

منذ أن وقعت أحداث ١١ سبتمبر والحديث السياسي والأكاديمي لا ينقطع داخل الولايات المتحدة وخارجها حول تأثير ما حدث حول الرؤية الأمريكية للمنظومة الدولية والإقليمية ومنطلقاتها إزاء إشكالية العولمة، وتساءل الكثيرون حول احتمال تغير المفاهيم الأمريكية إزاء المعطيات التي سكنت العقلية الأمريكية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق وانفراد الولايات المتحدة بالنظام الدولي.

تياران متصارعان

ركزت معظم التصورات الأمريكية حول إشكالية العولمة في تصورين.. الأول وقد تبناه عدد من المفكرين الليبراليين الذين رأوا أن الولايات المتحدة وحلفاءها يجب أن يستمروا في دعمهم لفكر العولمة ومعطياتها ومنطلقاتها ودون التأثر بما حدث في سبتمبر ونظروا إليه على أنه حادث عارض لا يمكن البناء عليه، وذلك لأن العولمة أو الكوكبة ليست دعوة تتوقف من حين لآخر، أو أنها كفكرة ثبت عدم جدواها ودعوا لاستمرار العولمة والتغلغل في أي مجتمع في العالم مع إعلانهم الدؤوب لتوحيد وتعبئة المؤسسات في اتجاه دولي موحد تتبناه الولايات المتحدة وحلفاؤها برغم وجود تباين أيديولوجي وسياسي بين الطرفين. الثاني أكد على أن الأمة الأمريكية واجهت لحظة مصيرية حاسمة وأنه من مقتضيات الواقع التاريخي والسياسي ضرورة إعادة النظر في كثير من المسلمات التي تروج لها الولايات المتحدة منذ أن انفردت بالمنظومة الدولية، وأنه قد آن أوان العودة لخيار الداخل الأمريكي والاهتمام بالشرائح المجتمعية والفئات المهمشة قبل الانطلاق للخارج وترويج فكرة العولمة أو تصحيح مسارها بعد أن ثبت يقينا أن الأمة الأمريكية يمكن أن تواجه الكارثة من الداخل وعلى أراضيها، وهو أمر ظل لسنوات طويلة مستبعدا، ويقف وراء هذا التيار خبراء وأكاديميون رأوا أن طرح تساؤل مثل: لماذا يكرهنا العالم؟ يبدو واقعيا في ظل الخيارات التي تواجه الولايات المتحدة إذ أن المشكلة ليست في تطبيق أفكار العولمة سياسيا واقتصاديا فحسب وإنما في المفاهيم الليبرالية والديمقراطية ونمط الحياة الأمريكية بالجملة.

وفي هذا الإطار صار من الواقع ضرورة مراجعة الدعاوى الأمريكية السابقة حول إشكالية العولمة ومنطلقاتها، إذ من الواضح وللوهلة الأولى وكرد فعل رآه كثيرون طبيعيا لما حدث في ١١ سبتمبر أن انتصر التيار الأول الداعي لاستمرار التدخل والتغلغل في العالم بأكمله، وأطلقت إدارة بوش أفكارها والتي ركزت حول نحن والعالم، وليس هناك إمكانية للتراجع ومن لا يقف مع الأمة الأمريكية فهو عدو لها، فتم تدشين معركة الإرهاب أو ما أسمته إدارة بوش مواجهة الإرهاب والتطرف في كل مكان في العالم، وحتى دون الرجوع للمنظمة الدولية أو القرارات القانونية، بل على العكس انفردت الولايات المتحدة بقراراتها فكان التدخل في أفغانستان والدخول في آسيا والاستمرار في الخليج والاقتراب من الممرات المائية الدولية وإعادة ترتيب المنظومة الدولية والإقليمية وفقا لمصالحها وأولويات أمنها، هذا دليل على أن الولايات المتحدة لن تدخل النفق المعتم وتنكفئ على ذاتها، بل بالعكس بدأت تُطرح أفكار أمريكية حول تطوير فكر العولمة والكوكبة لمزيد من التدخل والتغلغل في العالم الأمر الذي جعل «جيمس روزنيو» يكتب في «Current Lnitoru» متسائلا هل تسعى الولايات المتحدة لتغيير الدنيا بأسرها؟.. أي عولمة هذه؟!! وأي تغلغل أمريكي مقترح والداخل الأمريكي يواجه المجهول؟! ويطلق «روزنيو» على هذا التدخل مرحلة ما بعد العولمة حيث التغيير بالقوة وتطبيق مبادئ العولمة بالعنف المسلح لتنفيذ المصالح الأمريكية التي باتت مهددة، ولهذا يتساءل.. هل تسعى واشنطن لتوحيد وتعبئة الأفراد والجماعات في شكل واحد؟ وأنها ستسعى لتذويب الحدود الجغرافية لتنفيذ مخططاتها؟ ويجيب: بالتأكيد، وهو الأمر الذي سيطرح أفكارا خاصة بتذويب الهوية وأمركة العالم..

ويشير كاتب في ثقل «ميشيل زورن» أن كلا الأمرين . العولمة والمحلية . سيستمران في المنافسة، خاصة أن الولايات المتحدة وحلفاءها ليس لديهم نموذج فعلي لتطبيق العولمة تحت أي مسمى، والأمر ليس يسيرا كما تتصور الولايات المتحدة!! فالعولمة احتاجت سنوات لكي تنطلق من أفكارها النظرية لأطروحتها التطبيقية سواء في مجال الأسواق أو الأفكار الليبرالية وغيرها، ولم يثبت بعد صلاحيتها لكل الدول!!

العولمة في مواجهة خيار الداخل

طرح كتاب أمريكيون . وبفعل إعصار سبتمبر . تساؤلا يحمل الكثير من المعاني وكان على رأسهم «جون ماكفر» و«ديمس براون» حول ما إذا كانت العولمة قد أظهرت عجزا ديمقراطيا ليس في أوروبا فحسب بل في الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها، والإجابة أن هذا العجز ليس مرحليا وإنما هو بالأساس هيكلي وفي قلب المنظومة الدولية ذاتها التي ادعت الولايات المتحدة أنها تقودها، فعلى سبيل المثال ونتيجة لتزايد قوة الشركات الضخمة الكبرى ظهر ما يعرف بالدبلوماسية الجديدة التي

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

تتحرك في إطار العلاقات بين الشركات الدولية والدول حيث إن أهمية هذه الشركات للدول فرضت علاقات خاصة بينهما، وبرغم ذلك لم يتقلص دورها، وظلت الدولة -كجهاز مالك- هي المسيطرة بالفعل، وبرغم بروز التقدم التكنولوجي وتوسيع العلاقات الاقتصادية والسياسية فإن هذا التقدم ذاته هو الذي يدحض فكرة العولمة المعاصرة لما بعد أحداث سبتمبر، لأنه يحتاج لكي يتوسع إلى مزيد من الاستثمارات في مجال الموارد البشرية والتعليمية والبحث، وتتباين هذه الاستثمارات من دولة لأخرى.. ولكنه في النهاية يدل على تحكم الدول وأن هذه المؤسسات لا تتمتع بالاستقلال.

وبرغم ذلك فإنه ليس هناك من يدعي اليوم بأن مبدأ السيادة الوطنية المطلق ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية مازال على عذريته ونقائه الذي استمر لعدة قرون ضمن أساسيات العلاقات الدولية والقواعد التي تحكمها، ولأن ما طرأ من متغيرات .حتى قبل ١١ سبتمبر. تفرض التعاون المتبادل من أجل المصالح المشتركة وليس المصلحة الأمريكية فقط، وبديل هذه العزلة ومحصلتها في النهاية تخلف الدولة عن ركب التطور والتنمية وانكماشها داخل حدودها ما لم تحدد إطار علاقتها بالآخرين بما في ذلك الولايات المتحدة ذاتها ولو في حدود دنيا محدودة، إذ أن الولايات المتحدة وفي مرحلة ما بعد ١١ سبتمبر تسعى لنفي الآخر وإحلال نموذجها الأمريكي، فالعولمة الجديدة أو الحديثة -كما يحلو للكتاب الأمريكيين أن يطلقوا عليها- نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصالات، كما يشمل مجالات السياسة والفكر والأيديولوجيا، وهي في الأساس تعكس إرادة الهيمنة على العالم، وثمة تحول هائل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية يتحقق نتيجة للتقدم التكنولوجي الأمريكي والأوروبي، الأمر الذي يطرح وبقوة ضرورة التأكيد على النمط الأمريكي في الإعلام والمعلوماتية والسينما والموسيقى والسياسة وفي كل مجال آخر، ومن هنا يرى عدد من الكُتاب الأمريكيين أن العولمة المعاصرة لما بعد ١١ سبتمبر صارت وعن حق مرادفة لعبارة «أمركة العالم»، وحيث يقول كاتب مثل «ألفريدو فالاداو» في كتابه «القرن الـ ٢١» إن هذا القرن سيكون أمريكيا تحت أي مسمى، وأن الولايات المتحدة تحاول وحدها دون غيرها الهيمنة على عولمة المؤسسات السياسية والاقتصادية والدولية واحتكارها، حيث ساعدت المعلوماتية على تحقيق العولمة في كافة المجالات الأمر الذي استتبع احتلال الولايات المتحدة لمركز الصدارة في الحياة الثقافية للمعمورة بأسرها

ويؤكد «ريتشارد سين». أحد أهم الأكاديميين في هارفارد. أنه ليس من التصور أن تتغير الرؤية الأمريكية إزاء مشروع العولمة، إذ أن التغلغل الأمريكي في أنحاء العالم والسعي لتطبيق فكر العولمة وإن صح التعبير «أمركة» العالم في كافة المجالات، وأن حادث سبتمبر لا يدفع بالضرورة للعودة إلى الوراء أو العودة للكهف. إذ أصبحت العولمة تحمل الجنسية الأمريكية وتتصرف الإمبراطورية الأمريكية على أساس أنه لا توجد قوة مكافئة لها في العالم، فهي تملك المقومات الأساسية.. قوة عسكرية لا نظير لها برغم ما حدث بالفعل، وقوة اقتصادية هائلة لا تخشى الولايات المتحدة منافسة قوة أخرى حتى ولو كانت اليابان أو المجموعة الأوروبية ذاتها، فالعولمة الجديدة والمطروحة بعد ١١ سبتمبر تعني تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه هو الولايات المتحدة بالتحديد على بلدان العالم أجمع فهي أيديولوجية تعبر عن إرادة الهيمنة على الكوكب وصبغه بالصبغة الأمريكية بصرف النظر عن تأثير ذلك على الدول النامية، فالتفاوت الكبير في اتجاهات الأداء الاقتصادي والتنمية البشرية بين الدول الصناعية والدول النامية يكشف وبدقة من الخاسر في مسألة العولمة، ففي الوقت الذي بلغ الناتج القومي الإجمالي لمجموع الدول الصناعية ٢٠٨٤٩ مليار دولار عام ٢٠٠٢ فإنه لم يتجاوز في كل الدول النامية ٤٥٣٦ مليار دولار!! وهكذا فإنه ليس من المنتظر بعد أن شاهدنا وعن قرب ما يحدث من تدخل لإدارة بوش في الصراعات الدولية والإقليمية وليس الأمر مرتبطا بما حدث في أفغانستان بل في الشرق الأوسط وآسيا والسودان والعراق وفي الأحداث الأخيرة التي شهدها الاتحاد المغربي ومن خلال الأزمة الأسبانية الغربية حول جزيرة «ليلى» فالإطار الأمريكي الكوكبي هو التعبير الأسمى عن التنظيم السياسي والاقتصادي والذي يجب الخضوع المطلق لإملاءاته وما يقال لنا هو أن العولمة حتمية ولا فكاك منها وأنه ليس من المنتظر أن تكشف الولايات المتحدة عن فرض نموذجها حتى مع تداعيات أحداث ١١ سبتمبر وبالتالي تنتفي التحذيرات التي يطلقها المفكرون العالميون من مخاطر العولمة المعاصرة التي تحاول الولايات المتحدة تسويقها، وهو الأمر الذي جعل المفكر الفرنسي «إدجار موران» يقول إن للعولمة جانبا مدمرا خاصة في الجانب الثقافي إذ قد يتم تجاهل بعض الثقافات، ويدعو لوضع نصب أعيننا وحدة التعدد وتعدد الواحد فالعولمة المعاصرة التي فرضتها أحداث ما بعد ١١ سبتمبر أدت لتغيير نمط العلاقات الدولية والأولويات والشروط التي يجب أن تبنى على أساسها لكل الدول وفي هذه الحالة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

طارق فهمي *

فإن الدول الصغيرة تجد نفسها مضطرة لقبول هذه القواعد حتى لا تزداد مشكلاتها تفاقما، وحتى لا تجد نفسها معزولة، وأصبحت شروط الانتماء للعالم الأمريكي الجديد. بعد أن شهدت الولايات المتحدة إعصار ١١ سبتمبر. تتركز في تبني مبادئ نظام السوق والاندماج في النظام الاقتصادي والانضمام للأسواق المالية والكوكبية والأيدلوجية الليبرالية الجديدة والديمقراطية والتعددية وحقوق الإنسان، ولكن وفقا للمفاهيم الأمريكية التي تتحدد من خلال المصالح الأمريكية بالأساس حيث يدور حديث طويل حول استخدام الولايات المتحدة لمعايير مزدوجة في توجهاتها الدولية والإقليمية وليس أدل على ذلك من قيام الولايات المتحدة بالدور المنوط بالأمم المتحدة من خلال التدخل المباشر في الشؤون والقضايا دون الرجوع للأمم المتحدة وقد حدث هذا في العراق وليبيا وأفغانستان والسودان وفي البوسنة، ولعلنا نتذكر هنا الدعوات الواضحة التي ظهرت في الغرب ودعت إلى تدمير الثقافة العالمية وتنصيب الحضارة الغربية كحضارة وحيدة للعالم، ومن هذه الدعوات دعوة «فوكوياما» التي صاغها حول مفهوم نهاية التاريخ الذي يتم فيه إبعاد كل الأمم والحضارات الأخرى باعتبار الغرب هو نهاية التاريخ، وكذلك دعوة «هنتنجتون» التي تدور حول ما يسميه «صدام الحضارات» وهي دعوة للغرب لكي يدخل في صراع مع الحضارات الأخرى وبالأخص الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.. إن العولمة المعاصرة التي يروج لها الكتاب الأمريكيون الذين هالهم ما حدث للأمة الأمريكية في ١١ سبتمبر تضع أساسا لمرحلة جديدة من الصراع بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى.. وترفض أي خيارات أخرى بما في ذلك المبادرات التي سعت لتوفيق الآراء بين قبول العولمة الجديدة أو رفضها، ومنها ما يسمى بالفريق الثالث ومن أبرز أنصار هذا الاتجاه رئيس الوزراء البريطاني «توني بلير» الذي يرى أن دور الدولة لن يتراجع في ظل العولمة وأن وظيفة الدولة فقط سوف تتغير من تقديم الخدمات بنفسها للمواطنين إلى تأمين وصول تلك الخدمات إليهم، وهناك مبادرات أخرى تسعى للتوفيق بين العولمة الجديدة والعدالة والقيم الإنسانية هي الصيغة التي تقدم بها «كوفي أنان» وهذه المبادرة تركز على دعوة مجتمع الأعمال العالمي لتبني القيم الإنسانية في محاولة لإزالة الخلاف والتناقض حيث لغة «البيزنس» والقيم.. ويسمي أنان مبادرته «العولمة المصغرة المعاصرة».

نحو عولمة جديدة

في إطار ما سبق وفي ظل الدعاوى الأمريكية بعولمة جديدة تراعي سلبيات ما أنجز في فكر العولمة ما قبل ١١ سبتمبر، يصبح على هذه العولمة شئنا أم لم نشأ عليها أن تقوم بعملية تنظيم الأقطاب حيث إن الدول تحاول أن تضع نفسها في مجموعات متشابهة بهدف الحصول علي أفضل الإمكانيات للمشاركة في المجتمع العالمي، خاصة وأن الولايات المتحدة. وفي ظل إدارتها الراهنة. تعمل على زيادة القوة العسكرية ودعم الأحلاف وإعادة الانتشار بالخارج بغرض الدفاع عن المصالح القومية، وحسب هذه الإدارة تشتمل عملية إعادة الحيوية أو بث الحيوية في القوة العسكرية على مضاعفة التفوق العسكري الأمريكي على الدول الأخرى، وفي هذا الاتجاه تم رفع أرقام الموازنة العسكرية في ٢٠٠١/٢/٢٧ بزيادة قدرها ٤،٢ مليار دولار للعام المالي ٢٠٠٢ لكي يصل إجمالي هذه الموازنة إلى ٣١٠،٥ مليارات دولار، وكذلك أسرعت في تطوير مبادرة الدفاع الصاروخي لتدخل مرحلة أولية في مواجهة تحديات هذا القرن، ومن أهمها التهديدات الإرهابية والحكام الطغاة في الدول المتمردة «المارقة». كما تعلن إدارة بوش. وفي ذلك تبذل إدارة بوش جهودا لإقناع حلفائها المعارضين لهذه الخطة، وهو ما يستلزم تغيير التوجهات الأوروبية تجاه الاقتناع بأن أوروبا سوف تستفيد من التوجهات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية، إضافة لكل هذا فإن الولايات المتحدة تعلن استمرارها في توسيع حلف الأطلنطي وتحديد الدول المرشحة للانضمام وتعزيز التعاون العسكري مع اليابان وزيادة الدعم الوحشي للقوات الموجودة في آسيا والشرق الأوسط ودفع آفاق التعاون مع تجمع الآسيان واستراليا وغيرها من أطراف المنظومة الدولية.

ومع ذلك فإن تسارع العولمة المعاصرة التي تدعو إليها الولايات المتحدة وتطبقها الآن سياسيا واقتصاديا والاتجاه لتعدد الأقطاب عالميا وزيادة الاعتماد المتبادل لبلدان العالم قد يخلق ظروفا لأطراف متعددة لحل الصراعات على المصالح فالتعاون. وليس المجابهة. صار أفضل وسيلة لتسوية النزاعات، ولذلك فإن الولايات المتحدة التي تعيد الاعتبار لمبدأ القوة تذهب بعيدا عنه مع مرور الوقت ليس بالطبع لحساب الاستقرار الدولي بل لمزيد من الفائدة للمصالح الأمريكية.

---

* باحث أكاديمي مصري

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية